باحثٌ مقدسيّ... في عمارة القدس وتاريخها

إعداد: عزيز العصا

معهد القدس للدراسات والأبحاث - جامعة القدس

مقدمة

من أكثر حرصًا على الأم من أبنائها الذين شهدوا اللحظات الأولى من حياتهم في رحمها؟ وفق هذا المفهوم، فـإن أبناء القدس المخلصـين يرتبطون بها ارتباطًـا عضويًّا وعاطفيًّا ووجدانيًّا، وكلّ مقدسيّ يعبّر عن ارتباطه بها والحرص عليها حسـب اختصاصه؛ بحيث أضحى بها سمات وخصائص لا تتكرر في أي مدينة في العالم. وينطبق عمق الزهوّ والفخر وطيب الانتماء على عاجن وخابز وبائع الكعك بسمسـم المقدسي المشهور بقدر ما ينطبق على العالِم، والكاتب، والشـاعر، والروائيّ، والنحّات، وصانع المنسـوجات، والحلوانيّ وغيرهم، فجميع هؤلاء يختزنون في خوالج نفوسـهم من العشـق والانتماء لمدينتهم، مما يجعلها مدينة فريدة، مدينة على الأرض لكن جذورها في السماء.

اعترافًا بدور هؤلاء في المحافظة على عروبة القدس وإسلاميتها، سنستضيف في كل عدد

من أعداد مجلة المقدسية؛ وهي مجلة من القدس وإليها، مقدسيًّا عالمًا، أو باحثًا، أو فنّانًا، أو صاحب مهنة مبدع، على أن يكون على رأس عمله، ومبدعًا في العطاء.

شخصية العدد

يوسف سعيد النتشة

مؤرخ للعمارة والفن، وعلم مقدسيّ على مدى نصف قرنٍ ونيّف

دوافع اختيار هذه الشخصية، لتكون فاتحة خير في المقدسية، للتأريخ والتوثيق لأعلام القدس في هذا الظرف العصيب من الاحتلال البغيض، متنوعة ومتعددة، فأهمية هذا التخصص وندرته وحداثته، كانت من الحوافز الأساسية لهذه المبادرة، وأيضًا لا يمكن التغاضي عما يتعرض له التراث المعماري لمدينة القدس، من طمس وتشويه وإحلال بديل عنه. وعليه يكمن توقيت الحديث عن هذا العالم المقدسي، من اهتمامه المبكر، وإدراكه لمكانة هذا التراث المعماري في صوغ الرواية والهوية المقدسية الفلسطينية، وأهمية تسليط الضوء عليه. وحوادث الأيام أثبتت صواب هذه الرؤية ومكانة هذا الجهد، مما يجعله جديرًا بهذه الافتتاحية.

أولًا - المَوْلدُ والنّشأةُ:

ولد «يوسف سعيد النتشة»، في القدس بتاريخ 30/ 01/ 1953م. وفيها نشأ، وبين معالمها وآثارها ترعرع؛ فخبر تفاصيلها الدقيقة، وتبادل مع حاراتها وأزقتها وطرقاتها حبًّا بحب وعشــقًا بعشــق، بما فيها من أسرار وخبايا وخفايا، تمكن من فهمها، بل إدراكها، عندما جعل تخصصه الدقيق في دراسة تراثها المعماري، بتفاصيله الدقيقة، المرئية وغير المرئية[1].

لم تكن علاقة «النتشة» مع بيئته المقدسية مجرد مكان يؤويه وعائلته، بل كانت مليئة بالعطف والحنان وعشــق الانتماء وعبــق الذكريات المتواصلة من الطفولة إلى المراهقة والشــباب والكهولــة، فها هو يذكر طفولته المبكرة التــي أمضاها، وهو يتنقل بين معلم وآخر، وأثر وآخر، في رحاب المسجد الأقصى المبارك، الذي يختزن فيه أجمل ذكريات الطفولة والمرحلة الابتدائيــة، ويزيد على ذلك زياراته الصباحية المتكررة والمنتظمة لســوق القطانين وخان تنكز ولمجمع خاصكي سلطان، التي يعود منها بالشوربة الساخنة اللذيذة، لتكون طعامًا طيبًا مباركًا له ولأسرته.

لقد نشأ «النتشــة» وترعرع في القدس وهو يرقب الناس، تتوافد من كل حدب وصوب إلى حيــث يقطن هو ويعيش حياته الطبيعية اليوميــة، لينالوا شرف الزيارة وما تحمله من روح الإيمان، والشــغف للعودة. فكان يوجه دحداله[2] برفق ومهارة بين رواد ــــسواق وطرق المدينة، ولاحقًا كان يعلو دراجته الهوائية، وينساب بين الجموع وهو يسترق النظر

(1) لعل أفضل مثال على ما ذُكر أعلاه، ما يقوله النتشــة حول زيارته لمجمع خاصكي سلطان وهو بعمر الثامنة، فانبهر بالمكان وجمالياته وفنونه، واســتمرت علاقته بالمكان دون انقطاع، حتى شكل هذا المجمع العمود الفقري لأطروحته لنيل درجة الدكتوراه في العمارة الإســلامية العثمانية في القرن السادس عشر. عن:

النتشة، يوسف سعيد (2005). ذكرياتي مع مجمع خاصكي سلطان المعماري –العمارة العامرة – حوليات القدس. العدد الثالث. ص: 101 – 107.

(2) إطار معدني مستير مفرغ ومغلف بمطاط من بواقي دواليب السيارات، كان يوجه بعصا في الطرقات والشوارع، وشكل تسلية ولعبة نشطة لأطفال أهل القدس كما هو الحال في عدة مجتمعات.

والسمع لهؤلاء الزوار، من مختلف دول العالم وأممه، ومن مختلف الأديان والقوميات والأجناس، وهم يلهجون إلى الباري عز وجلّ بالدعاء!

تيقّن النتشة – الطفل، الذي نما وكبر حتى أصبح شابًّا فرجلًا، أن المكان الذي هو أقرب نقطة على الأرض إلى السماء، يستحق أن يكون موضوعًا لتخصصه ودراسته، فآثر، بعد أن اجتاز امتحان الثانوية بتفوق ومعدل عالٍ، أن يختار دراسة العمارة والفنون الإسلامية على غيرها من التخصصات التي كانت سائدة في وقته.

فأمسك بقدسه وقبض عليها بقوة واقتدار، وخدمها كما يخدم الوليد أمَّه، وهو مؤمن إيمان العجائز بأن الاهتمام والدفاع عن مسقط رأسه، وموئل حياته، ومكان سعادته وفرحه وسروره، ليس مجرد واجب عليه أن يؤديه، أو ارتزاق يحصل عليه، بل إن في ذلك عبادة، وأيّ عبادة! إنها المكان الذي بارك الله فيه وبارك حوله؛ إذ حظي بالأنبياء والرسل، إلى أن أسري إليه بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلّم، فمنحه الخالق جلّ في علاه التسمية التي لم تكن قبلئذ، بقوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[1] صدق الله العظيم.

ثانيًا - التعليم:

2 - 1 التعليم المدرسي:

التحق «النتشة»، وهو بعمر السادسة[2]، بالمدرسة العمرية[3] وفي عام 1967م، عندما كان

(1) الإسراء: 1.

(2) أبكر بعام عن بقية أقرانه في ذلك الوقت.

(3) وعرفت قبلاً باسم مدرسة روضة المعارف، وهذا موقع مهم، يحمل طبقات ونسيجًا معماريًّا يعكس حضارات عديدة مرت على مدينة القدس، فقد كان فيه قلعة بناها هيردوس على اسم أنطونيوس، وهو مكان قصر الحاكم الروماني بيلاطس، وضم نسيج المدرسة المملوكية الجاولية، وكان قبلًا مدفنًا للشيخ

في الصف الأول الثانوي استكمل الاحتلال السيطرة على ما تبقى من القدس بعد النكبة، فقام الاحتلال بمحو حارة المغاربة خلال الأسبوع الأول، وإفراغ حارة الشرف المقدسيتين من سكانهما الأصليين، فازدحمت باقي حارات القدس بالسكان، مما جعل البنية التحية، القديمة والمتهالكة أصلًا، غير قادرة على استيعاب الكثافة السكانية العالية، فانتقلت عائلته من البلدة القديمة، إلى منطقة رأس العامود، التي تبعد مسافة نحو كيلومترين عن الجانب الشرقي لسور القدس.

أما الطالب «النتشة» فبقي في مدارس القدس العتيقة، ونهل العلم من مدرسين أكفاء، منهم: المربي الفاضل توفيق أبو السعود، والأستاذ القدير الدكتور زيدان أبو زياد، والمدرس عثمان صالحية، والشيخ عبد القادر عابدين، وزكي الدجاني، وإبراهيم قندلفت، وأحمد عبد اللطيف، ومحسن جابر، والأستاذ الدكتور أحمد جبر. وكان هذا العطاء في غرف صفيّة في مجمع المدرسة، أدرك النتشة لاحقًا، بعد أن حقق تاريخها أنها المدرسة الماوردية ورباط بايرام جاويش[1] وأنها تحكي التاريخ وتسرد رواية الزمان والمكان بأصدق العبارات المرئية والملموسة، من خلال جدرانها وحجارتها التاريخية، وهندستها، فتحقق له ربط المكان بالذاكرة الجمعية والشخصية حينما عبَر من الثانوية العامة عام 1971م، واجتازها بنجاح، ليصل إلى محطات التعليم الجامعي.

2 - 2 التعليم الجامعي:

بعد مغادرة المدرسة بتفوق، اتخذ «النتشة» قراره التكوينيّ الأول في حياته بأن يتخصص في دراسة آثار القدس وتراثها المعماري، فحصل عام 1975م على ليسانس آثار من كلية الآثار في جامعة القاهرة، تخصص آثار وعمارة إسلامية وتخصصًا فرعيًّا في التاريخ الإسلامي.

درباس في الفترة الأيوبية، ومقر الحاكم العثماني، أي السرايا.

(1) من المفارقات الطريفة أنه لا الطالب النتشة ولا الأغلبية العظمى من أهل القدس كانت تعرف هذه الأسماء، لكن قيض أن تكون هذه المباني ركنًا أساسيًّا من رسالة الدكتواره في جامعة لندن.

وأتبَعَ ذلك عام 1981م بشهادة دبلوم آثار إسلامية من كلية الآثار في جامعة القاهرة (مدة الدراسة سنة واحدة).

في عام 1982م ارتقى درجة علمية متميزة، تتمثل بحصوله على «ماجستير من كلية الآثار في جامعة القاهرة في موضوع «مسكوكات فلسطين الإسلامية منذ الفتح حتى قدوم الصليبيين».

وفي عام 1993م، عزز التقدم العلميّ المتتابع له بحصوله على شهادة إرشاد سياحي من مدرسة السياحة التابعة لوزارة السياحة الإسرائيلية[1]، راغبًا في التعرف على الرواية الإسرائيلية ومكوناتها. وتمكن من خلال شهادة الإرشاد السياحي من التمكن من اللغتين الإنكليزية والعبرية، وتسلح بمكامن التصدي للرواية المشوهة المتداولة عن تراث القدس، وبما يمكّنه من استقبال كبار الزوار من القادة من مختلف أنحاء العالم[2]، والتحدث أمامهم بثقة واقتدار عن مكانة القدس في العقيدة الإسلامية والتاريخ العربي، وعن آثار القدس ومعالمها وتاريخها، كما ينبغي أن يُنقل للعرب وللأجانب و/ أو غير الناطقين بالعربية، الذين وفدوا على المسجد الأقصى المبارك، كزوار راغبين في التعرف على الرواية الإنسانية العربية الإسلامية، لتاريخ مدينة القدس وفلسطين.

2 - 3 الدكتوراه - نقلة نوعيّة وتملأ فراغًا توثيقيًّا:

مرّت عشرون عامًا على نيله لدرجة البكالوريوس، وهو يتدرج من مستوى علميّ إلى مستوى آخر، أكثر تقدمًا، وفي جميع تلك الخطوات تراكمت الخبرات وتآزرت المعرفة،

(1) مدة الدراسة (18) شهرًا، وحصل على رخصة تحت الرقم (49141).

(2) ممن جرى مرافقتهم وإرشادهم، على سبيل المثال لا الحصر: السيد رجب طيب أردوغان، وقداسة البابا بنديكت السادس عشر Pope Benedict XVI، وقداسة البابا فرانسيس Pope Francis، والرئيس الفرنسي ميكرون Emmanuel Macron، والسيد لورا بوش Laura Buch، ومجموعة كبيرة من السفراء والوزراء والدبلوماسيين ومختصي العمارة والفن الإسلامي، علاوة على مرافقة سمو الأمير هاشم بن الحسين بن طلال، وسمو الأمير غازي بن محمد بن طلال.

بمستوياتها المختلفة، حتى أواخر عام 1993، حيث حصل على منحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن.

بعد ثلاث سنوات من البحث والتحليل والكتابة، أنهى كتابة الأطروحة، وبعد انتظار لمدة تسعة أشهر، أُتيح للنتشة أن يدافع عن رسالته الأكاديمية عام 1997م ونال درجة الدكتوراه، وفق دراسته الموسومة «دِراسةُ المباني العثمانيّةِ العامرةِ في القرنِ السّادس عشر: بالاعتماد على سجلّات محكمة القُدْس الشَّرعيّة وحُجَجها»، من جامعة لندن[1]. وبالاطلاع على متن الرسالة، وجدته مجلّدًا عبارة عن (477) صفحة من القطع الكبير، باللغة الإنكليزية، عبارة عن جزءيْن:

الجزء الأول، ينتهي عند الصفحة رقم (309)، يتوزع عليها ملخص الرسالة، والجداول والأشكال والمقدمة، والتعريف بمصادرها (سجلات محكمة القدس الشرعية)، وينتهي بسرد للمصطلحات وقائمة المصادر والمراجع، ويشمل هذا الجزء ثلاثة فصول، هي:

- تم تخصيص الفصل الأول لـ«تطور القدس العثمانية في القرن السادس عشر (الميلادي) (922هـ/ 1516م - 1009هـ/ 1600م)»، تطرق فيه الباحث إلى المشاريع المعمارية الكبرى في القدس التي تمت في القرن قيد النقاش، أهمها: شبكة المياه لسقاية القدس، ومشروع السور الذي لا يزال قائمًا بأبهى صورة حتى يومنا هذا[2].

- وفي الفصل الثاني تطرق الباحث إلى العمارة والمعماريين في القدس العثمانية، وصف فيه تطور العمارة في القدس، وتزاوج العمارة بين الإسلامي وغير الإسلامي،

(1) Natsheh, Yusuf Sa'id (1997). Sixteenth Century Ottoman Public Buildings in Jerusalem: A study based on the standing monuments and the evidence of the Jerusalem sijill. Unpublished thesis submitted for the degree of Ph.D. university of London.

(2) Natsheh (1997), 33 – 61.

وكذلك المعماريين؛ مسلمين وغير مسلمين، ومحليين وقادمين من الخارج، أشهرهم المعماري الأشهر في التاريخ «المهندس سنان».[1]

- وجاء الفصل الثالث، وهو أطول فصول هذا الجزء من الرسالة وأكبرها حجمًا (يشكل 63 بالمئة من الجزء الأول)، تحت عنوان: «كتالوج المباني»؛ لوصف المباني العثمانية في القدس في القرن السادس عشر الميلادي، وعددها (24) مبنى، منها: مسجد النبي داود ومنارته، وسبيل قاسم باشا، ومنارة الحمراء، وسبيل بركة السلطان، وثلاثة مبانٍ شيدها «بيرم جاويش»: رباط ومكتب ودار، والعمارة العامرة (خاصكي سلطان) والمدرسة الأحمدية[2].

وأما الجزء الثاني من الرسالة، فشمل على الأشكال، والرسومات، والخرائط واللوحات، وانتهى بملاحق الدراسة، حيث جاءت آخر (80) صفحة منها كملحق يحتوي الحجج الوقفية التي استندت إليها الدراسة – الرسالة.

يُمْكنُ الاعتماد على دراسة «النتشة» هذه على المستويين: الإحصائي والوصفيّ للوقفيات والمعالم المذكورة فيها؛ إذ إنَّها تشمل تحقيقاتٍ علميّة دقيقة لنصوص الوقفيات والحجج، وصورًا فوتوغرافية للوقفيات والعقارات التي تم ذكرها، إضافةً إلى مُخطَّطٍ عامٍّ لموقع العَقار، ومُخطَّطاتٍ هندسيّةٍ معماريّةٍ (Sketches) لأكثر من جانب للعقار نفسه.

وتعدّ هذه الدراسة من أهم الدراسات حول القدس، إذ إنها تملأ فراغًا كان قد نشأ بعد أن أنجز الباحث البريطاني بورغون دراسته «القدس المملوكية» عام 1987، بعد عمل متواصل لمدة 16 عامًا.[3]

(1) Natsheh (1997), 62 - 104.

(2) Natsheh (1997), 105 – 300.

(3) Burgoyne M. H. Mamluk Jerusalem: An Architectural Study, the World of Islam Festival Trust, London1987. pp: X – XI.

2 - 3 - 1 الدكتوراه ومشروع القدس العثمانية:

تزامن الحصول على درجة الدكتوراه، مع بزوغ فكرة مشروع كتاب موسوعي يتناول القدس في الفترة العثمانية، يركـز على تاريخ المدينة الحضاري والمعماري، يكون وثيقة تشـهد لما لهذا العهد من إضافـات ومظاهر حضارية. وقصد من هذا المشروع الذي بادرت إليه مؤسسـة مهرجان العالم الإسـلامي في لندن ومؤسسـة التاجر، بالتعاون مع المدرسة البريطانية للآثار (معهد كانيون)، ودائرة الأوقاف الإسـلامية ممثلة بمديرية السياحة والآثار، أن يكون رديفًا وتوءمًا لمشروع كتاب القدس المملوكية، وعليه فقد تم إسناد مهمة مسح المباني العثمانية كاملة للنتشـة، وهذا اقتضى أن يتم توسيع بحث الدكتوراه الذي خصص للقرن السادس عشر، أن يشـمل كل النسيج المعماري العثماني، ولهذا فقد تم دمج بحث الدكتوراه والتوسع قيه ليغطي القسم الثاني من هذا الكتاب الموسوعي. ومما يحسب للنتشة في هذا المشروع، وكونه عضو لجنة علمية وإدارية، أنه أصر أن على يفسـح المجال لمساهمة مجموعة من الأكاديميين الفلسطينيين والعرب[1]، على قدم المسـاواة مع نظرائهم من الغرب، بل إن المساهمة العربية في هذا المشروع ممثلة بالقسم المعماري جعلت نصيب الأسد للقلم العربي الإسلامي.

وعلى هذا الأسـاس بزغ في مطلع القرن الحادي والعشرين، عام 2000، إلى النور كتاب «القدس العثمانيـة المدينة العامرة»، حيـث تضمن معلومات قيّمة موسّـعةً تعتمدُ على سـجلات محكمة القدس الشرعية في اسـتقراء معلومات عن العـمارة العثمانية من قبل (33) باحثًا وباحثة، من مختلف الجنسـيات، من الكتّاب المختصين، وبتحرير من روبرت هيلنبراند وسـلفيا أولد[2]. وقد كانت مساهمة «النتشـة» في هذا العمل الموسوعيّ بدور

(1) راجع فهرس المساهمين في كتاب القدس العثمانية، حيث تظهر مجموعة من الأعلام الأكفاء من أمثال: عبد الكريم رافق (ثلاث مسـاهمات)، وخضر سـلامة، ومحمد علي العلمي، ومحمود عطا الله، ورشيد الخالدي، وجورج هنتليان، وكامل العلسي (مساهمتان)، وفيرا تماري، وشريف شريف، ومحمود هواري.

(2) يُنظر: فهرس كتاب القدس العُثمانيّة، الجزء الأول، تحرير سلفيا أولد وروبرت هيلنبراند:
Ottoman Jerusalem the Living City, 2000, London.

«عضو هيئة إدارية وأكاديمية»، وبدراستين معمقتين موسعتين عن القدس العثمانية، مقتبستيْن من رسالته للدكتوراه الموصوفة أعلاه، مع إضافات شملت كل المباني العثمانية في القدس، ولم تقتصر على مباني القرن السادس عشر كما كان الحال في رسالة الدكتوراه. وهاتان الدراستان، هما:

1) «عمارة القدس العثمانية»

«The Architecture of Ottoman Jerusalem».[1]

2) «فهرس المباني العثمانية»

«Architectural Survey: Catalogue of Buildings».[2]

ثالثًا - الدورات التدريبية والتكوينية والتأهيلية ورفع مستوى الثقافة الشعبية:

لم يتوقف د.يوسف النتشة عند الشهادات التي حصل عليه، بل سعى، إلى تطوير الذات، والتدرّب، وتطوير المهارات في الآثار والمباني التاريخية. فبعد حصوله على درجة الماجستير، تدرّب عام 1983م على «صيانة المباني التاريخية» في معهد الدراسات المعمارية المتقدمة في جامعة يورك البريطانية.

وأتبع ذلك بدورة أخرى عام 1985م خاصة عقدت في باريس وبروكسل وروما برعاية منظمة اليونسكو في «صيانة وتوثيق المباني التاريخية والتحف الفنية». ودورة ثالثة عام 1987م في «صيانة الآثار والمواقع التاريخية»، عقدت في الولايات المتحدة الأميركية برعاية

(1) Natsheh, Yusuf Said (2000). «The Architecture of Ottoman Jerusalem», in Ottoman Jerusalem, The Living City 1517 - 1917, edited by Sylvia Auld and Robert Hillenbrand, part I pp. 583 - 655.

(2) Natsheh, Yusuf Said (2000). «Architectural Survey: Catalogue of Buildings», in Ottoman Jerusalem, The Living City 1517 - 1917, edited by Sylvia Auld and Robert Hillenbrand, part II, pp. 657 - 1085.

وتنظيم وكالة الإعلام، واشنطن، أميركا.

وبعد عشرين عامًا –في عام 2007 – شارك «النتشة» في ورشة «الأمن والآثار والتوثيق» في واشـــنطن العاصمة، جامعة دوبول شـــيكاغو، بدعوة من وزارة الخارجية الأميركية، برنامـــج تبادل الزيارات. والواقع أن هذه الـــدورات مكّنته باقتدار من أن يكون المشرف على أعمال الترميم والصيانة التي قامت بها دائرة الأوقاف الإســـلامية بالتعاون مع مركز صيانة وتوثيـــق وترميم مباني القـــدس الشريف، الذي عمل تحت مظلـــة جامعة الدول العربية وبإشراف مباشر من وزارة الأوقاف والشـــؤون والمقدسات الإسلامية، وتم من خلاله ترميم وصيانة مجموعة كبيرة من العمائر المملوكية التي تقع في طريق باب السلسلة.

رابعًا - التأليف:

4 - 1 مؤلف منفرد:

4 - 1 - 1 مؤلف منفرد - كتيبات ونشرات:

تنبّه «النتشـــة» في رحلة التأليف والنشر، مبكرًا، إلى ضرورة الالتفات إلى الجمهور العام، وألا تقتصر أعماله على المختصين والأكاديميين، فأنجز سلســـلة من الكتيبات والنشرات التي تصف عددًا من المعالم والآثار المقدسية، الدينية والمعمارية، بأسلوب بسيط ومعلومات مشوقة ودقيقة. ففي عام 1979م صدر له كتاب «التربة الكيلانية».[1]

وفي عام 1997، صدر له «خان السلطان برقوق»[2]. وفي عام (2002) صدر له الكتيبات الآتية: قبة الصخرة المشرفة جوهرة القدس والمسجد الأقصى[3]، والمسجد الأقصى المبارك

(1) النتشة، يوسف سعيد (1979). التربة الكيلانية. دائرة الأوقاف الإسلامية. القدس.

(2) النتشة، يوســـف سعيد (2012). خان الســـلطان برقوق. ملحق مجلة هدى الإسلام. العدد الأول، السنة السادسة عشر، ص:81 – 84.

(3) النتشـــة، يوسف ســـعيد (2002). قبة الصخرة المشرفة. جوهرة القدس والمسجد الأقصى. مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(الحرم الشريف)[1]، وكنيسة القيامة.[2]

وأتبع ذلك في عام (2004) بنشر مجموعة من الكتيبات والنشرات، هي: كنيسة القديسة حنة (سانت آن) المدرسة الصلاحية[3]، ورباط المنصور قلاوون[4]، وباب العمود[5]، وقصر الست طنشق المظفرية.[6]

وفي عام (2009) صدر له: بوستر عن برج اللقلق في القدس[7]، مسجد عمر بن الخطاب[8]، سبيل الخالدي،[9] وباب الأسباط.[10]

(1) النتشة، يوسف سعيد (2002). المسجد الأقصى المبارك (الحرم الشريف). مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(2) النتشة، يوسف سعيد (2002). كنيسة القيامة. مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(3) النتشة، يوسف سعيد (2004). كنيسة القديسة حنة (سانت آن) المدرسة الصلاحية. 7، مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(4) النتشة، يوسف سعيد (2004). رباط المنصور قلاوون. كتيب رقم 6، مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(5) النتشة، يوسف سعيد (2004). باب العمود. كتيب رقم 5، مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(6) النتشة، يوسف سعيد (2004). قصر الست طنشق المظفرية. كتيب رقم 4، مؤسسة التعاون. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. القدس.

(7) النتشة، يوسف سعيد (2009). بوستر عن برج اللقلق في القدس. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. بدعم من مؤسسة سيدا السويدية. القدس.

(8) النتشة، يوسف سعيد (2009). مسجد عمر بن الخطاب. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. بدعم من مؤسسة سيدا السويدية. القدس.

(9) النتشة، يوسف سعيد (2009). سبيل الخالدي. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. بدعم من مؤسسة سيدا السويدية. القدس.

(10) النتشة، يوسف سعيد (2009). باب الأسباط. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. بدعم من مؤسسة سيدا السويدية. القدس.

وفي عام (2010) صدر له نشرة عن «سبيل مصطفى آغا»[1]، أتبعها في عام (2011) بنشرة عن أسبلة مدينة القدس.[2]

وكان آخر إصدار لـ«النتشــة» من هذا النوع من النشرات التوعوية والتثقيفية والتوثيقية عام (2012) بعنوان «المصلى المرواني بين أطماع الماضي ومخاطر المستقبل».[3]

4 - 1 - 2 مؤلف منفرد - كتب:

4 - 1 - 2 - 1 كتاب «مسـارات وجولات من السـياحة الرديفة في مدينة القدس»:[4]

صــدر هذا الكتاب عام 2011 عن التجمع الســياحي المقدسي. وفي عام 2013 صدرت الطبعة الثانية منه. ويقع هذا الكتاب في طبعته الثانية في (312) صفحة من القطع المتوسط والــورق المصقول. يتألف الكتاب من صفحات المقدمة، التي تتضمن التمهيد ولمحة عن تاريــخ مدينة القدس، منذ مــا قبل الميلاد حتى تاريخه، وصــولًا إلى جوهر الكتاب وهو المســارات العشرة التي يستهلها بمسار «الأســوار والبوابات» وينهيها بمسار «صحراء القدس»، مرورًا بالمســارات الأخرى، التي أطولها مســار «الإسراء والمعراج»[5]، يتكون من المحطات والمواقع التالية: قبة الصخرة المشرفة، قبة السلسلة، البائكة الشرقية، المصلى

(1) النتشــة، يوسف ســعيد (2010). سبيل مصطفى آغا. دائرة الأوقاف الإســلامية. مديرية السياحة والآثار. يُنظر أيضًا: ملحق مجلة هدى الإسلام. العدد (190). أيار وحزيران 2020.

(2) النتشــة، يوسف سعيد (2011). «لمحة عن أسبلة مدينة القدس». المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. القدس.

(3) النتشة، يوســف ســعيد (2012). «المصلى المرواني بين أطماع الماضي ومخاطر المستقبل». ملحق مجلة هدى الإسلام. العدد (203). حزيران وتموز 2012.

(4) النتشة، يوسف ســعيد (2013). مسارات وجولات من السياحة الرديفة في مدينة القدس. التجمع السياحي المقدسي. القدس. فلسطين.

(5) النتشة، يوسف ســعيد (2013). مسارات وجولات من السياحة الرديفة في مدينة القدس. التجمع السياحي المقدسي. القدس. فلسطين. ص: 120 – 155.

المرواني، الأقصى القديم، الجامع الأقصى المبارك، المتحف الإسلامي، المدرسة الأشرفية وحائط البراق.

عند استلام مفاتيح القدس من قبل الخليفة الراشدي «عمر بن الخطاب»، كانت أغلب مناطق المدينة مأهولة، وأن منطقة مسار الإسراء والمعراج وما حولها كانت مهملة، ومجمعًا للأتربة والقاذورات، مما رشحها لتكون مركز الاهتمام والتطوير عبر العصور الإسلامية المتعددة؛ دون أن يقوموا بهدم أو إزالة أي مبنى كان قائمًا في منطقة المسجد الأقصى. فأصبح بثلاثة مستويات، هي:

المستوى الأعلى: وهو مستوى قبة الصخرة أو كما يدعى سطح الصخرة، وهذا يتوصل إليه عبر مجموعة من البوائك (المراقي) وتقوم فيه مجموعة جميلة من القباب والخلاوي، علاوة على منبر برهان الدين الرخامي ومسطبة الكرك ومجموعة من الآبار.

المستوى المتوسط: ويقصد به مستوى الجامع الأقصى، وهذا يضم الجامع الأقصى والمتحف الإسلامي والأروقة الجانبية في الجدار الغربي والشمالي مع مجموعة من الأبواب والعمائر المتنوعة كالأسبلة والمساطب والمآذن والقباب.

المستوى الأرضي: وهذا يضم كلاً من مبنى بابي الرحمة والتوبة (الباب الذهبي)، والمصلى المرواني، والأقصى القديم، ومسجد البراق.

4 - 1 - 2 - 2 كتاب «المدرسة السلامية في مدينة القدس «الموصلية»:[1]

يتألف هذا الكتاب من قسمين: القسم الأول بعنوان: دراسة تاريخية ومعمارية للمدرسة السلامية، يتضمن معلومات تفصيلية، كالمؤسس، وتاريخ بنائها، والموقع والحدود،

(1) النتشة، يوسف سعيد (2016). المدرسة السلامية في مدينة القدس «الوصلية»: تاريخها وعمارتها ومنهج ترميمها وتأهيلها. بمساهمة من: سامر رنتيسي، وميا أبو الحيات، وزهدي بالي. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. القدس. الكتاب باللغتين: العربية والإنكليزية.

والأسماء التي أطلقت على المدرسة، واستخدامات المبنى في الماضي والحاضر، ووصف مكوناتها والإضافات والترميمات التي أدخلت عليها في المراحل الزمنية المختلفة، والأوقاف التي وقفت عليها عبر التاريخ. وخصص نحو 64 بالمئة من هذا القسم للوصف المعماري للمدرسة التي تأثرت بتقاليد الأبنية المملوكية في القاهرة.

ويمكن إجمال المعلومات الخاصة بهذه المدرسة، بأن مؤسسها مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامي (من بلدة سلّامية بالقرب من الموصل بالعراق)، وقد أسسها في حدود عام 783هـ/ 1338م، وهي تشكل الزاوية الجنوبية الشرقية لالتقاء طريق باب العتم مع طريق المجاهدين. والمدرسة وقف إسلاميّ عام. وأشار الباحث (النتشة) إلى أنه في وقت لاحق، سنة 838هـ/ 1435م، أوقف الشيخ مجد الدين عبد الملك بن أبي بكر الموصلي على هذه المدرسة دخول قطع من الأراضي، منها: ثلث دخل مجموعة من الأراضي الواقعة في قرية نعلين، وقرية جبع، وغراس الدين والمشمش، وغير ذلك من أرض الصلاحية في القدس الشريف. وثلث دخول مزرعتين: واحدة في القدس والأخرى بالقرب من القدس. ثم توالت الأوقاف عليها واستثمار أوقافها لصالح العاملين فيها.[1]

وأما القسم الثاني من هذا الكتاب، فتم تخصيصه لـ: مشروع ترميم وتأهيل مبنى المدرسة السلامية، تضمن خلفية المشروع، وفلسفته، وأهدافه، وأركانه وعناصره. كما تضمن هذا القسم منهجية المشروع، القائمة على العلاقة مع الشركاء، والمراحل المختلفة التي مرّ بها: مرحلة الاختيار والترشح، ومرحلة إعداد الدراسات والمسوحات لمبنى المدرسة، ثم مرحلة إرساء العطاء وتنفيذ المشروع، وما تبع هذه المرحلة من تطوير العاملين في المشروع من حرفيين، وفنيين، ومهندسين وتدريبهم ورفع قدراتهم.[2]

(1) النتشة، يوسف سعيد (2016). المدرسة السلامية في مدينة القدس «الوصلية»: تاريخها وعمارتها ومنهج ترميمها وتأهيلها. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. القدس. الكتاب باللغتين: العربية والإنكليزية. ص: 12 – 19.

(2) ساهم في هذا القسم كل من: سامر رنتيسي، وميا أبو الحيات، وزهدي بالي، ود. يوسف سعيد النتشة.

4 - 1 - 2 - 3 كتاب «تراث القدس المعماري»:[1]

صدر هذا الكتاب، وهو كتاب موسوعيٌّ، بعنوان «تراث القدس المعماريُّ: تطوُّره وطُرُزُهُ وأعلامُه وعناصرُه المعماريّةُ والزُّخْرُفيّةُ»، عن مؤسَّسة التَّعاون في القدس، العام (2020م)، يقع في (351) صفحةً من القطَع الكبير، يتــوزَّع عليها أربعة فصول؛ لكلّ فصل جوهرُهُ ومَهَمَّتُه، ودَوْره في تركيبة هذا الكتاب.

يقدّمُ النَّتشة لكتابه هذا بسَرْدٍ علميٍّ رصين، مُبيّنًا الهدف الإستراتيجيَّ الَّذي يأملُ بأنّه قد حقَّقَهُ، والمتمثّل بإنارة الطَّريــق للطَّلَبَة والباحثين للوصول إلى «المفاهيم والاصطلاحات التّاريخيّة والمعماريّة والزُّخرفيَّة، في البلدة القديمة من القدس، شاملةً سُورَها، وما يحتضنُه من نسيج معماريٍّ».

تُحيــط بالقدس تعقيداتٌ تجعَلُها ليســت مدينــةً كباقي المُدُن؛ فعــلى أرضها تصارعت الحضارات، وتنافسَــت الدّيانات الثّلاث التي تُشــكّل 55 بالمئة من المجموعات الدّينيّة في العالَم. ولكــنَّ قَدَرَها أنَّها تعيش هذه الأيام تحت وطــأة «التَّملُّك الفئَويّ» المصحوب بالعنصريّة والقوَّة»[2]. ورغم هذه التَّعقيدات، وجَدْنا أن النَّتشــة يَنْساب بسلاسةٍ وهدوءٍ بين الحقَب التّاريخيّة المختلفة، التي تفْتَقــرُ إلى إجماع المؤرّخين والتُّراثيّين، ليَصل إلى هدفه الرَّئيس بأنْ يَسْبر غَوْر تُراثها المعماريّ؛ بدءًا من يبوس (سُلوانَ القديمة)، وهو يُشير لنا بأنَّ النَّقصَ في المعلومات التّاريخيّة هو سيّد الموقف، فَيُجْهد نفسَه بسَرْدٍ تاريخيٍّ متوازن يُغطّي (4,000) سنةٍ ونيّفٍ، مرفقًا الخرائط، أو المُخطَّطات المساندة.[3]

وجدتُ أن الباحث في دراســته هذه قد جمعَ بين الحضارة والــتُّراث والعُمران، بأبعادها

(1) النتشة، يوسف ســعيد (2020). تراث القدس المعماريُّ: تطوُّره وطُرُزُهُ وأعلامُه وعناصُره المعماريّةُ والزُّخْرُفيّةُ. المكتب الفني برنامج القدس لإعمار البلدة القديمة في. مؤسسة التعاون. القدس.

(2) النتشة (2020)، 9 – 10.

(3) النتشة (2020)، 11 – 26.

المادّيّة والمعنويّة والإنسانيَّة والجَماليّة، كما جمعَ بين ما يَسْهلُ قياسُه وتقديرُه في فترة زمنيّة محدَّدةٍ، وما هو متجدّدٌ في النَّفس البشريّة من بهجةٍ وفرحٍ وسرورٍ، ممّا لا يُمكنُ قياسُه لعظمة دوره في الحياة الإنسانيّة، وأثره وتأثيره في النَّفس البشريَّة. وليس أجمل من أن نجدَ النَّتشة في دراسته هذه، وقد أعادَ قطار الاصطلاحات إلى سكَّته الصّحيحة، وضَبَط اتّجاهَه بعد أن زاغَ عنها، وأخذتْ تتلاطَمُه تداخُلاتُ التَّسميات وانحرافاتُها، منها:

- أعادَ لتاريخ مدينة القدس الرّواية الفلَسْطينيّة، الَّتي كادتْ رواياتُ الاحتلال وأساطيرُه، الَّتي يَفْرضُها على الأرض بالقوَّة - مدعومةً باليافطات واللوحات، وما عليها من ضَلالاتٍ معلوماتيّةٍ - تَفْرضُ علينا روايةً تخالفُ روايَتَنا الحقيقيّةَ، وتقضي عليها.

- أعادَ للمسجد الأقصى المبارَك تسمياته بدلًا من الحَرَم الشَّريف، أو الحَرَم القُدُسيّ الشَّريف، أو حَرَم بيت المَقْدس، وتمَّ تَبَنّي تسمية الجامع الأقصى اتّباعًا لمُجير الدّين بدلًا ممّا شاعَ في هذه الأيّام من إطلاق اسْم المُصلَّى أو المسجد القبْليّ، رغبةً في إزالة اللَّبْس وأَمَلًا في تحديد المُسمَّيات والاصطلاحات التّاريخيّة للمنْطَقَة والمواقع.[1]

لقد انطلقَ الباحث «النتشة» في عملٍ بحثيٍّ - مَيْدانيٍّ، قلَّ فيه العملُ المكتبيُّ النَّظريُّ، وكَثُرَت المشاهد الطَّبيعيّة كما هي في القدس. إذ حَلَّلَ العوامل والمؤثّرات الَّتي جعلت المدينةَ بالواقع الَّذي هي عليه الآن، ثمَّ اسْتَنْطَق العمائر والمباني وحجارتَها، بتفاصيلها الدَّقيقة - شبْه المُجْهريَّة - الَّتي لا يراها إلّا صاحبُ عَيْنٍ خبيرةٍ ثاقبةٍ؛ فَرصدها، وجعلَ منها إحالاتٍ وَسماتٍ وخصائصَ، تُحدّدُ الهُوِيَّةَ التّاريخيّةَ، والحضاريّةَ والمعماريّةَ للمَبْنَى.

لم يتوقَّف «النتشة» عند المباني فقط، وإنَّما أَصَّلَ علميًّا لجميع الاصطلاحات والمفاهيم ذات الصّلَة، لاحَقَ بُناةَ تلك المباني والعمائر، ومعْماريّيها، ومُهَنْدسيها، وصانعي القرار السّياسيّ، والعُمرانيّ، والحضاريّ في جميع الفترات قيدَ الدّراسة، بمنهجيَّةٍ بحثيَّةٍ رصينةٍ

(1) النتشة (2020)، 4.

ومُكَثَّفةٍ، فوفَّرَ موسوعةً بالأسماء ذات الصّلَة، وَسيَرها الذّاتيّة المُقْتضبة. كما اسْتَمرَّ الباحثُ، وصولًا إلى الاصطلاحات والمفاهيم كافّةً ذات الصّلَة بالتُّراث المعْماريّ في القدس.

بذلك، يكونُ «النتشة» قد استكملَ حلقةً مهمَّةً من حلقات هذا العمل الموسوعيّ الواسع، الّذي شملَ الطُّرُزَ المعْماريّةَ لسبع فتراتٍ تاريخيّةٍ؛ بدءًا من الطّراز الرُّومانيّ (63 ق.م) حتَّى تاريخه، مرورًا بالطُّرُز البيزنطيّة، والأمويّة، والإفرنجيّة، والأيّوبيّة، والمملوكيّة والعُثمانيّة. ومن الملامح الموسوعيَّة الأخرى لهذا العمل، أنَّه يوفّرُ بياناتٍ ومعلوماتٍ مُهمَّةً حول (218) شخصًا من ذوي العلاقة بتُراث القدس المعْماريّ، ويشرح «باختصار» (76) لَقَبًا ووظيفةً ذات صلَةٍ بمباني القدس، كما يُوثّقُ لـ(350) عنصرًا معماريًّا وزخرفيًّا؛ تعريفًا وصورةً، وينتهي الكتاب بفهارسَ خاصّةٍ بالخرائط، والأشكال (الرُّسوم) (126 رسمًا هندسيًّا)، واللوحات (وعددها 300 لوحة فوتوغرافيّةٍ) والصُّوَر.

ونحن نَغْبطُ أنفسَنا بهذه الدّراسة، فلا بدَّ من التوقُّف عند الشَّرائح المجتمعيَّة التي تتمتَّعُ بها قراءة، وفهمًا وإدراكًا لمعانيها، وما بين سُطورها. فالباحث من جانبه يرى أن الكتابَ – الدّراسةَ – كُتب في الأصل للفئات والشَّرائح الآتية:[1]

1) لَمن لديه معرفةٌ أوليّة بعمارة القدس. 2) الباحثين عن المعرفة حول التُّراث تُراث القدس المعْماريّ؛ بعمائرها ومبانيها. 3) مُوجَّه إلى طَلَبَة العلم من مُختصّي الفنون الزُّخرفيّة والفنون الجميلة. 4) دارسي التّاريخ والدّراسات المَقْدسيّة. 5) طَلَبَة الهندسة، لاسيَّما متخصّصي الهندسة المعْماريّة. 6) توفير قاعدة بياناتٍ مُيَسَّرةٍ للمهندسين والمُرَمّمين، والحرَفيّين المُسْتنيرين، الّذين يتطَلَّعون إلى مزيدٍ من المعرفة عن عمارة القدس وخصائصها. 7) أخذَ الباحثُ بعين الاعتبار اهتمامات مُختصّي وسائل الإعلام والاتّصال من الكُتّاب والصَّحَفيّينَ.

(1) النتشة (2020)، 5.

4 - 1 - 2 - 4 كتاب «الحفريات والأنفاق الإسرائيلية في القدس منذ عام 1967»:[1]

صدر هذا الكتاب، عام 2019م، عن وكالة بيت مال القدس الشريف بالمغرب، وهو بعنوان «الحفريات والأنفاق الإسرائيلية في القدس منذ عام 1967: دراسة نقدية في خلفيتها التاريخية والسياسية وفي مناهجها ونتائجها». ويقع في (106) صفحات من القطع الكبير. يتضمن دراسة نقدية يتتبع فيها «النتشة» الحفريات والأنفاق الإسرائيلية في القدس بين عامي 1967م (وهو العام الذي استكملت فيه إسرائيل احتلال القدس) و2010.

يناقش الكتاب العديد من القضايا ذات الصلة بالحفريات الإسرائيلية، بدءًا بإشكاليات التنقيب الأثري في فلسطين، القائم على ربط الآثار بالتوراة، وإثبات تاريخية التوراة، وليس بالحقائق العلمية على الأرض. ويمر الباحث على المسيحية الصهيونية، التي ترى بوجود ميثاق إلهيّ يربط اليهود بفلسطين، ويذكّر بأن جمعيات ومدارس البحث الأثري تعمل في فلسطين، في ظل الغياب الكامل والقسري لعلم الآثار الفلسطيني.[2]

ويرى «النتشة» في دراسته النقدية هذه أن أبرز خصائص الحفريات الإسرائيلية: أولًا، تسييس الآثار وعسكرتها؛ إذ إن الاحتلال الإسرائيلي أفقد علم الآثار والتنقيب الأثري وظيفته كأحد المعارف الإنسانية. ثانيًا، ارتباط النشاطات الأثرية الإسرائيلية بتوجهات اليمين (المتطرف) الذي يحكم المجتمع الإسرائيلي، كما يحصل في بلدة سلوان التي تخضع إلى عدد كبير من الحفريات التي تقوم عليها جمعية إلعاد المتطرفة. ثالثًا، سياسة التعاون وتوزيع الأدوار بين سلطة الآثار الإسرائيلية، والمشرّع الإسرائيلي الذي يخضع لها. وهذا

(1) النتشة، يوسف سعيد (2019). الحفريات والأنفاق الإسرائيلية في القدس منذ عام 1967: دراسة نقدية في خلفيتها التاريخية والسياسية وفي مناهجها ونتائجها. منشورات وكالة بيت مال القدس الشريف. الرباط. المغرب.

(2) النتشة (2019)، 15 – 16.

ما أدى إلى ظهور احتجاجات –ليست ذات أثر – من قبل مؤسسات وجمعيات وأفراد في المجتمع الإسرائيلي، تنتقد سلوك سلطة الآثار والآثاريين الإسرائيليين.[1]

استعرض «النتشة» في هذه الدراسة أهداف الحفريات الإسرائيلية، التي تنطلق من أهداف السياسة العامة الإسرائيلية، التي تقدم القدس كمدينة يهودية، بطمس معالم الحضارة الكنعانية، ومنح حق الاستمرارية لإسرائيل القديمة وإسرائيل الحديثة، وأن فلسطين هي أرض الميعاد. ولفرض هذا على الأرض، تتبع طرائق ومنهجيات تخفي من خلالها التراث العربي الإسلامي، في أجواء من السرية التامة والعمل على الحفر ليلًا.[2]

كما استعرض «النتشة» مجموعة من الأنفاق التي أنتجتها الحفريات الإسرائيلية – الاحتلالية، منها: نفق حائط البراق (وهو أقدم أنفاق مدينة القدس، وأصله قناة تتصل مع بركة ماء تقوم أسفل دير راهبات صهيون)، ونفق مسجد العين بسلوان، ونفق عين سلوان. وهناك أنفاق متوقّع أن يحفرها الاحتلال الإسرائيلي، كنفق مغارة سليمان، ونفق عند نهاية طريق الواد جنوبًا حيث مدخل حائط البراق، وهناك مشاريع أخرى لأنفاق ومصاعد في حارة اليهود.[3]

وناقش «النتشة» حملة التشويه على المصلّى المرواني، باعتبار أن الأتربة التي تمت إزالتها منه تضم بقايا مهمة تعود إلى عهد الهيكل المزعوم، فقاموا بتنخيل التراب الذي أخرج من أبواب المصلّى[4]. وتطرق «النتشة» أيضًا إلى مشروع طريق باب المغاربة، الذي بدئ به بمحو حارة المغاربة خلال الأسبوع الأول لاستكمال احتلال القدس عام 1967م، كما ذكرنا أعلاه، ويهدف هذا المشروع إلى إنشاء طريق يصل بين ساحة البراق والمسجد الأقصى المبارك، ومشروع السيطرة على ساحة رباط الكرد، ومشروع تحويل منطقة

(1) النتشة (2019)، 20 – 38.

(2) النتشة (2019)، 38 – 45.

(3) النتشة (2019)، 51 – 65.

(4) النتشة (2019)، 71.

القصور الأموية (ملاصقة للسور الجنوبي) إلى حديقة عامة.[1]

ويختم «النتشــة» دراسته هذه متســائلًا: هل يوجد ما يمكن عمله للتصدي أو التخفيف من ســطوة التهويد والأسرلة؟ وبعد اســتعراض بعض المحاولات والجهود التي بذلت لمواجهة الأعمال الاحتلالية، يرى «النتشة» أنه لا بد من الاستمرار في التصدي للاحتلال واعتداءاته، بخوض نضال قانوني ودبلوماسي، ورفض كل (القوانين) الإسرائيلية الهادفة إلى السيطرة على المسجد الأقصى المبارك.[2]

4 - 2 مؤلف مشارك:

هناك ما يزيد على عشرة كتب وأعمال موسوعية شارك فيها د.يوسف سعيد النتشة، بأدوار مختلفة؛ سواء مؤلفًا، أو باحثًا، منها:

قبل نيله درجة الماجستير، شارك «النتشــة» عام 1981 مع آخرين في إعداد دليل المسجد الأقصى المبارك، بتكليف من دائرة الأوقاف الإسلامية.

وبعد حصوله على درجة الماجســتير (كانت عام 1982)، شــارك في عام 1983 في كتاب «كنوز القدس».[3] وفي عام 1987، شارك في دراسة «مدينة خليل الرحمن – دراسة تاريخية جغرافية»[4].

وفي عام 2003 نشر مقالًا بعنوان «هل صمم المعماري ســنان باب العمود»[5]. وأعيد نشر

(1) النتشة (2019)، 80 – 93.

(2) النتشة (2019)، 93 – 96.

(3) نجم، رائف، وعبد المهدي، عبد الجليل، والنتشة، يوسف سعيد، والحلاق، بسام (مشارك) (1987). كنوز القدس. المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. عمان. الأردن.

(4) جبارة، تيسير، وغازي، فلاح، والنتشة، يوسف سعيد (1987). مدينة خليل الرحمن: دراسة تاريخية وجغرافية. مركز أبحاث رابطة الجامعيين. الخليل. فلسطين.

(5) النتشــة، يوسف سعيد (2003). هل صمم المعماري ســنان باب العمود؟. حوليات القدس. العدد الثاني. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. لبنان. ص: 22 – 31.

هذا المقال عـــام 2005 في كتاب مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي، دراســـات في تاريخ القدس الاجتماعي والثقافي[1]. وفي عام 2004 أســـهم «النتشة كونه محرّرًا للمواد الواردة في كتاب «العلم والصوفية والحج في فلسطين» علاوة على كتابة عدة مواد في الكتاب.[2]

وفي عام 2011م، صدر كتابان شارك فيهما د.يوسف النتشة مع «شادية طوقان»، باللغتين العربية والإنكليزية، هما: «المدرسة الأشرفية، مركز ترميم المخطوطات الإسلامية/ الحرم القدسي الشريف»[3]، و«تطويع وترميم دار الأيتام الإسلامية البلدة القديمة في القدس»[4]. وسنناقش، فيما يأتي، كتاب «المدرسة الأشرفية..» كأنموذج للعمل المشترك، يقابل كتاب «المدرسة السلامية...» الذي ناقشناه أعلاه كأنموذج للعمل المنفرد.

ومنذ عام 2020م، عكف مع الباحث عزيز العصا على إصدار كتاب «مدخل إلى الموسوعة الوقفية المقدســـية»[5]، وهو تحت الطبـــع في هذه الأثناء (عام 2022). كما قاما –النتشـــة والعصـــا – بإعداد ورقة بعنـــوان: الزاوية القادرية: حاضنة الطريقـــة القادرية في رحاب المسجد الأقصى المبارك والقدس، قدمت إلى «موسوعة: بغداد تحت إشراف وقف الإمام

(1) النتشـــة، يوسف سعيد (2005). هل صمم المعماري سنان باب العمود. في «مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي، دراســـات في تاريخ القدس الاجتماعي والثقافي. تحرير: سليم تماري وعصام نصار، مؤسسة الدراسات المقدسية. القدس، ص 28 – 38».

(2) النتشة، يوسف ســـعيد (2004). هل صمم المعماري سنان باب العمود. في «كتاب العلم والصوفية والحج في فلسطين»، محرر ومساهم رئيسي (مع آخرين) ضمن مشروع الفن الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط، متحف بلا حدود، إسبانيا (بالعربية والإنكليزية).

(3) النتشـــة، يوسف سعيد، وطوقان، شـــادية (2011). المدرســـة الأشرفية، مركز ترميم المخطوطات الإســـلامية (الحرم القدسي الشريف). المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسســـة التعاون. القدس. الكتاب باللغتين: العربية والإنكليزية.

(4) النتشة، يوسف سعيد، وطوقان، شادية (2011). تطويع وترميم دار الأيتام الإسلامية البلدة القديمة في القـــدس. المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسســـة التعاون. القدس. الكتاب باللغتين: العربية والإنكليزية.

(5) العصا، عزيز، والنتشة، يوسف سعيد (2022). مدخل إلى الموسوعة الوقفية المقدسية. معهد القدس للدراسات والأبحاث. جامعة القدس. القدس. فلسطين (قيد الطبع).

الأعظم ووقف السلطان محمد الفاتح»، تم تحكيمها، وهي قيد النشر.

4 - 2 - 1 كتاب «المدرسة الأشرفية، مركز ترميم المخطوطات الإسلامية/ الحرم القدسي الشريف»:[1]

يتألف هذا الكتاب من جزءيْن: الجزء الأول بعنوان: «التطور التاريخي والمعماري للأشرفية»، يتضمن معلومات تفصيلية، كالتسمية، والموقع والحدود، ومراحل البناء وتاريخ كل مرحلة: المرحلة الأولى سنة (870هـ/ 1464م)، والمرحلة الثانية سنة (873هـ/ 1469م)، والمبنى القائم حاليًّا، وهو مركز ترميم مخطوطات المسجد الأقصى المبارك، هو ما بقي من المرحلة الثالثة (885هـ/ 1480م – 887هـ/ 1482م)، هناك وصف موجز لمرفقات هذه المدرسة.[2]

وخصص الباحثان جانبًا واسعًا لأهمية المدرسة الأشرفية ومكانتها، كأفخم مدارس بيت المقدس من الناحية المعمارية، والفنية. وأهميتها في العملية التعليمية؛ إذ أدت مهامها كمدرسة على مدى ثلاثة قرون. ثم يخصصان مساحة لنبذة تاريخية عن المدرسة، شملت: التأسيس، فهي تنسب إلى السلطان المملوكي (الشركسيّ) الثامن عشر الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر قايتباي، والأوقاف التي وقفت عليها، بسخاء، من ضمنها أراضٍ تابعة لثمانٍ وعشرين قرية في مناطق مختلفة من فلسطين، بما يوازي ما كان للمدرستين الصلاحية والتنكزية.[3]

وكان للوصف المعماري النصيب الأكبر من هذا الجزء، حيث تم التعريف بخصائص المبنى وصفاته، ووثق لنسيجه المعماري، بالكلمة والصورة والمخطط. وشمل هذا القسم

(1) النتشة، يوسف سعيد، وطوقان، شادية (2011). المدرسة الأشرفية، مركز ترميم المخطوطات الإسلامية (الحرم القدسي الشريف). المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس. مؤسسة التعاون. القدس. الكتاب باللغتين: العربية والإنكليزية.

(2) النتشة وطوقان (2011). النسخة العربية، 10 – 13.

(3) النتشة، وطوقان (2011). النسخة العربية، 12 – 16.

وصفًا للطابق الأرضي للمدرسة، وللسقيفة والمدخل والدرج الموصليْن للطابق العلوي (الثاني). ثم وصف الطابق الثاني الذي يشمل ساحة سماوية مستطيلة تطل على ساحات المسجد الأقصى المبارك وباحاته. كما عرّف الباحثان بالجهود التي بذلت في ترميم المدرسة الأشرفية، من خلال مشروع ترميم وصيانة قسم الآثار الإسلامية للأشرفية.[1]

وأما الجزء الثاني من هذا الكتاب، فتم تخصيصه لـ: الترميم والتطويع الوظيفي للأشرفية لاستخدام مركز ترميم المخطوطات، تضمن خلفية المشروع، وفلسفته، وأهدافه، ومكوناته. كما تضمن هذا القسم منهجية تنفيذ المشروع، القائمة على التشاور مع الشركاء، منذ بدء مرحلة التخطيط للمشروع، والمراحل المختلفة التي مرّ بها: المسح المعماري للمبنى، وإعداد البنى وتهيئته للاستخدام كمختبر لترميم المخطوطات، لينتهي المشروع بالتجهيزات والتأثيث، وتدريب كادر محلي على طريقة ترميم المخطوطات والوثائق، وحفظها وتخزينها... الخ، وصولًا إلى المحافظة على تراث الإنسانية في مشروع متكامل.[2]

خامسًا - أنشطة متنوعة:

يتطلب التخطيط لإجراء نشاط ما حول القدس، إلى البحث عن المختصين، والخبراء، والفنيين من أصحاب العلاقة بالموضوع قيد البحث. وفي شأن الآثار والعمران والتراثيات، يكون د.يوسف النتشة في مقدمة من تتم استشارته، أو استضافته، أو الاستئناس برأيه...

وعليه، فإن السيرة الذاتية للـ«النتشة» تزخر بمئات المؤتمرات، والندوات، والمقابلات التلفزيونية، وورش العمل، والمحاضرات، والدورات التدريبية، وغير ذلك من الأنشطة والفعاليات، سواء على المستوى المحلي، أو الإقليمي أو الدولي. وفي معظم تلك الأنشطة، يتقدم بورقة، أو عرض تقديمي، أو يرتجل كلمة ينهل خلالها مما لديه من مخزون معلوماتيّ تراكم عبر الزمن، من خلال المطالعة الدائمة لكل ما هو جديد حول اهتماماته العلمية والأكاديمية.

(1) النتشة، وطوقان (2011). النسخة العربية، 20 – 40.

(2) النتشة، وطوقان (2011). النسخة العربية، 48 – 61.

ومن أهم الإنجازات التي حققها «النتشــة» وتركت أثرها في القدس، رسائل الماجستير التي أشرف عليها، ومن تلك الرسائل ما تم تطويره إلى مستوى كتاب متخصص، يشكل مصدرًا علميًّا موثوقًا للباحثين، وللمهتمين. وإنني أعلم كم كان «النتشــة» يبذل جهودًا جادّة من أجل الحصول على تمويل لجعل رســالة الماجســتير كتابًا يأخذ مكانه على رفوف المكتبة العربية بشكل عام، والمكتبة الفلسطينية على وجه الخصوص، مثل:

- رسالة ماجستير للباحثة ســمر زكي بكيرات، بعنوان: الربعة المغربية المحفوظة في رحاب المسجد الأقصى المبارك»، بإشراف د.يوسف «النتشة»، والتي تابع أمرها مع وكالة بيت مال القدس الشريف بالمغرب، حتى أصبحت كتابًا بنفس العنوان.[1]

- رسالة ماجستير للبحث سايمون كيفورك أزازيان، بعنوان: ترتيبات الوضع القائم في كنيســة القيامة: النزاع القبطي الأثيوبي على دير الســلطان أنموذجًا، بإشراف د.يوسف «النتشة»، والتي تابع أمرها حتى أصبحت كتابًا بنفس العنوان.[2]

- وما زال قلم النتشة سيّالًا بحب القدس، حيث كتب في السنوات الأخيرة على كثرة أعبائــه الأكاديمية والإدراية مجموعة من الأبحــاث في المجلات والكتب العلمية المتخصصة نذكر منها:

- 2022، علــم مقدسي: «المهنــدس رائف نجم، مقدسي؛ ســكنت القدس وتراثها المعماري وجدانه»، مع عزيز العصا، مجلة المقدســية، العدد 15، صيف 2022، ص 189 – 216.

- 2022، «القدس مدينة على الأرض جذورها في السماء: عجالة عن التراث المعماري لبلــدة القدس القديمة»، في كتــاب: حفظ التراث الحــضري وتطويره في الدول

(1) بكيرات، سمر زكي (2020). الربعة المغربية المحفوظة في رحاب المسجد الأقصى المبارك. وكالة بيت مال القدس الشريف. الرباط. المغرب.

(2) أزازيان، سايمون كيفورك (2020). ترتيبات الوضع القائم في كنيسة القيامة: النزاع القبطي الأثيوبي على دير السلطان أنموذجًا. أمرزيان للطباعة والنشر. القدس. فلسطين.

العربية في القرن الواحد والعشريـــن، تحرير أنس صوفان، مركز التراث المعماري، البحرين.

- 15/ 12/ 2021 لمحة عن الوشائج الحضارية بين مدينة ماردين والقدس، مقدم إلى المؤتمر الدولي «من أرتق إلى صلاح الدين، جامعة ماردين، نشر في مجلة دراســات بيت المقدس، العدد 2، مجلد21، شتاء 2021». رابط المقال:

• https: / /dergipark.org.tr /en /pub /beytulmakdis /issue /66247

- 2021، «ومضة عن المســجد الأقصى المبارك: ماهيتــه ومكانته والأخطار المحدقة بــه، في كتاب أصول العمارة والبنيان في بيت المقدس بين صورة الماضي وحاجيات الحاضر والمستقبل، منشورات وكالة بيت مال القدس، 149 – 165.

- 2020، رباط الأمير تنكز للنساء: من مؤسسات الرعاية الاجتماعية في القدس المملوكية، مجلة المقدسية، السنة الثانية، العدد الثامن، خريف 2020، ص 127 – 137.

- 2020، المواقع الأثرية والمباني المعماريــة في مدينة نابلس، تحرير ومراجعة، (تأليف عبد الله كلبونة)، مؤسسة التعاون، القدس.

ويلفت النظر كتاب المواقع الأثرية والمباني المعمارية، الذي قام «النتشة» بتحريره، وهو في الواقع، كتاب جامع عن مدينة نابلس. يظهر في هذا الكتاب ما يمكن أن نســميه منهج أو «مدرسة يوسف النتشة المعمارية في دراســة العمارة»؛ إذ نلمس أثر كتاب القدس العثمانية والكتب الأخرى في منهج الكتاب وتقسيماته وعباراته المحددة.

وكان من حســن الطالع أنه بعد تقاعد النتشــة من دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بعد أن خدم فيها ما يزيد على أربعة عقود، أن تولى إدارة مركز دارسات القدس في جامعة القدس، حيث يشــهد المركز انتعاشًــا وإحياءً ملموسًا، بعد فترة ركود وانكفاء مرت في فترة الكورونا.

سادسًا - مقابلة خاصة:

لا شك في أن هناك فكرًا وفلسفة يربضان خلف هذا الزخم من الإنتاج الفكريّ المتنوّع في حدود التراث المقدسي، والآثار، والعمران، وتحليل المشـــهد الحضاري المقدسي، مما مكن الباحث والخبير «د.يوسف سعيد النتشة» من تحقيق هذه النجاحات التي يشار لها بالبنان.

ويقودنا هذا إلى إشـــباع رغبة القارئ الكريم في التعرف عـــلى صاحب هذه الإنجازات، من خلال الإجابة على عدد من الأسئلة الاستطلاعية – الاستقصائية والتساؤلات، لعلّ أهمها:

الســـؤال الأول: رغم أننا قرأنا ما كتبتـــه عن طفولتك وصِلَتها بالحضارة المقدســـية، إلا أن الفضول يدفعنا لإعادة طرح شـــبكة من التساؤلات: منذ متى قررت التخصص في مجال الآثار، ولماذا؟ ولو لم تأخذ فرصتك في هذا التخصص، في أي موضوع كنت ستتخصص؟

الإجابة: كما تم التنويه أعلاه، أن هذا المنحى قد اتُّخذ إثر النجاح في الثانوية العامة بمعدل عالٍ، ورغبة في خدمة الوطن، في مجال غير معروف أو مشـــهور، وحيث إن الهدف كان البعد عن المواد النظرية أو التخصصات التقليدية من طب وهندســـة وحقوق، وحيث إن فلســـطين غنية بتراثها، بل هي متحـــف تاريخي ومعماري ضخم، فقد تم التوجه إلى هذا التخصص، ولن أندم عليه يومًا، بل أعتبر نفسي محظوظًا في ذلك.

الســـؤال الثاني: لا شك في أن هناك فلســـفة خاصة بك، أو مدرسة فكريّة تنتمي إليها، صنعت منك صاحب إنتاج كتابيّ غزير. فما هي هذه المدرسة؟ ومنذ أي فترة عمريّة تعلقت بها؟.

الإجابة: كان من حســـن الطالع، أنني في مرحلة الدراســـة الجامعية الأولى في جامعة القاهـــرة رافقتُ مجموعة من الطلاب الذين كانوا يحضّرون رســـائلهم لنيل درجة الماجســـتير والدكتواره في عدة أبحـــاث تاريخية وفي مجال الفن الإســـلامي، وقد استفدت من تجاربهم ونقاشاتهم، وهذه التجربة صقلت رغبتي، وأنا أعتبر نفسي، بتواضع، أمزج في الدارسة المعمارية بين المدرسة المعمارية التي تكونت في مصر، ومما

هو متّبع في الدراسات الغربية في الجامعات الأوروبية، ودراستي في القاهرة ولندن وعلاقاتي الأكاديمية مع كلا المشربيْن، ساعدا في المنحى والمنهج الذي اتبعته في كتبي ودراساتي المتعددة، رغم كثرة أعبائي الإدارية.

السؤال الثالث: كيف ترى نظرة علماء دولة الاحتلال إلى التراث العربي الإسلامي في المدينة؟

الإجابة: في العموم، يسعى أغلبهم إلى تهميش هذا التراث وأحيانًا الحطّ منه، وعدم الاعتراف به، لكن هذا لم يمنع وجود ثلة بسيطة ممن قدرت ذلك وأنصفته، وهذا ينطبق أيضًا على تاريخ وآثار فلسطين عمومًا، فعلم الآثار في إسرائيل توقف عن كونه علمًا، وأصبح أداة لتحقيق الإنجازات السياسية وتبريرها، على حساب التراث الفلسطيني. أي إن علم الآثار في إسرائيل علم سياسي بامتياز!

السؤال الرابع: نظرًا لفهمك للغة العبرية، هل ضبطت دليلًا احتلاليًّا يزوّر الحقائق التاريخية؟

الإجابة: الرواية بمفهومها الواسع، وليس فقط المفهوم الأدبي للرواية، تتناقض بعمق مع الرواية الإسرائيلية الصهيونية في الأغلب، إن لم يكن مرافق المعرفة ومظاهر الحياة، الصراع مفتوح بزاوية 360 درجة، والمدرسة الإسرائيلية الصهيونية تسعى للنيل من التراث العربي الإسلامي بحديثه وقديمه، وهذا أحد مقومات الوجود الإسرائيلي، وهذا يلمس في أغلب الكتابات الإسرائيلية، ومع وجود قلة تحاول أن تنصف أو تتفهم، إلا أنهم صوت في البرية، ويغلب على الدراسات الإسرائيلية التهميش والتقليل وأحيانًا كثيرًا التزوير أو لوي الحقائق.

السؤال الخامس: ما هي مقترحاتك -باختصار- لتحسين وتطوير الحالة الدفاعية عن القدس التي تتعرض لمحاولات التهويد والأسرلة والعبرنة.

الإجابة: هذا موضوع صعب وشائك، وهو جزء من كل، يحتاج إلى تضافر عدة جهود مستمرة دون أن يتطرق إليها اليأس أو القنوط، أرى بأهمية الإيمان بعدالة القضية وإمكانية الصمود، والتركيز على وسائط التواصل الاجتماعي واستخدامها بطريقة

بنّاءة ومشوقة، وتبنّي مشـــاريع تربط الإنسان بتراثه بأسلوب مشوق وهادف، مع أهمية العمل كفريق مؤمن بالبعد الإنســـاني وأهمية الـــتراث. بماذا يحلم أو يأمل أو يسعى وهو في نهاية عقده السابع.

أرجو المولى عز وجلّ أن أتمكن من نشر بعض الدراسات المخطوطة لديّ، خاصة عن مواقع ومجمعات معمارية في القدس. وأسعى، عبر مركز دراسات القدس، إلى إيجاد جيل من الشباب المختص بتاريخ مدينة القـــدس وتراثها يتولى مهمة تعميق فهمنا للمدينة وتراثها ويذود عنها مســـتقبلًا، وأن نقـــدّر تراثنا حق قدره، ليـــس فقط بالحديث عنه، بـــل في صونه وتطويره بما يتناسب والتحديات الحالية، وأن نســـتفيد من التجارب الناجحة في المجتمعات التي قامت بصون تراثها، واعتبَرَتْه مكوّنًا أساسيًّا لهويتها وانتمائها الإنساني وأن نتبعها ونحذو حذوها.

رأينا،

بنظـــرة سريعة إلى التدرّج الأكاديمي والتعليمي للدكتور يوســـف النتشـــة، ولمحتويات الدورات التي تلقاها، على مدى نحو خمســـين عامًا، نجد أنه يمتلك خبرات عملية تعزز تخصصه، وترفـــده بالمعارف النظرية والعملية، تجعل منه خبـــيرًا عالميًّا قادرًا على فهم كنه المعالم المقدســـية، وتشـــخيص المباني التاريخية والتعريف بها، وتقدير العمر الزمني لمباني القدس وآثارها وتراثياتها، من مختلف العصور.

أما على المســـتوى المحلي، فقد أسهم «النتشة» في رفع مســـتوى الثقافة المعمارية والتراثية للمجتمع الفلسطيني، من خلال الشروحات والتوضيحات التي يقدمها خلال المقابلات عبر وسائل الاعلام المختلفة، المقروءة والمسموعة والمرئية المحلية والأجنبية.

وفي أحيان كثيرة، يرافق «النتشـــة» الباحثين والمختصـــين والطلاب المحليين والوافدين، فيرشـــدهم ويســـهّل مهمتهم في التعرف على تاريخ القدس العربي الإســـلامي والتراث المعماري. والمســـاهمة في رفع مســـتوى الوعي الثقافي لتاريخ القـــدس والتراث المعماري، وذلك بالقيام في جولات ميدانية باللغـــة العربية والإنكليزية لضيوف القدس وزوّارها،

لاسيما الرسميون منهم.

أضف إلى ذلك المحاضرات العامة باللغتين العربية والإنكليزية، التي عقدها «النتشة» حول العمارة في القدس، والأهمية التاريخية والتوثيقية لمبانيها، التي تمنحها هويتها العربية والإسلامية. إلى جانب التعريف بترميم الآثار المعمارية، وكيفية المحافظة على التراث المعماري في فلسطين، مثل: فسيفساء قصر هشام في أريحا وغيره من المعالم.

كما أن «النتشة»، ومن خلال الكتيبات والنشرات والكتب والمقالات والمحاضرات الموصوفة أعلاه، يكون قد حمل لواء تحفيز صانعي القرار على ضرورة ترميم وصيانة المباني التراثية في البلدة القديمة في القدس، كمدارس السلامية والأشرفية والصلاحية (سانت آن حاليًّا) وغيرها من المباني، لما لذلك من أهمية في الحفاظ على التراث الثقافي الفلسطيني ومردوده الإيجابي على المجتمع الفلسطيني.

وعلى مستوى الصراع القائم على أرض القدس، فإن «النتشة»، يمتلك ناصية العلم والمعرفة التي تؤهله لأن يقف بالمرصاد للمحاولات الاحتلالية الهادفة إلى تزوير التراث المقدسي، المنقول وغير المنقول، من أجل تهويد المدينة وأسرلتها! كما أن فهمه للّغة العبرية يؤهله لاختراق جدار التزوير والفبركة المعلوماتية التي يتلقّاها السائح من قبل الأدلّة السياحيين الناطقين باسم الاحتلال.

وتأتي الكتب والكتيبات والنشرات الموصوفة أعلاه المتعلقة بالمعالم المقدسية كرافد مهم في مجال التأكيد على عروبة القدس وإسلاميتها. ولعلّ في كتاب «الحفريات والأنفاق....» الموصوف أعلاه الذرورة، كأنموذج على المواجهة مع الاحتلال، بمنهجية البحث العلمي الرصين القادر على وضع الأمور في نصابها الصحيح؛ بكشف المخططات والأفعال والممارسات الاحتلالية على الأرض، داخل القدس وحولها وفي محيطها، وفق برنامج تزويريّ بعيد المدى، مستند إلى تشريعات احتلالية، مستندة إلى منطق القوة، بل القوة المفرطة من أجل تنفيذ عمليات التهويد والأسرلة والعبرنة.